الجزء الثلاثون سورة الكوثر

مكية آياتها ٣

سُورَةُ الْكَوْثَرِ ، سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ وقد امتن الله عَزَّوَجَلَّ على نبيه الكريم وصفيه الأمين أنه أعطاه الكوثر، وهو الخير الكثير، ويدخل فيه الحوض العظيم الذي أخبر عنه النَّبِيُّ ﷺ في وصفه، فقَالَ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا**»(١)، يأتيه الناس بعد أن يخرجوا من قبورهم عطاشًا، فيُمنع منه الكافرون والمبتدعون، ويشرب منه المؤمنون فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ**»(٢)، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «**وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ؟ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا**»(٣)، وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾** [الكوثر:١-٣]». ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٤).

فالكوثر نهر في الجنة يمد منه الحوض الذي هو في عرصات القيامة، والحوض خاص بالنبي ﷺ مع أن العلماء قد اختلفوا في هذه المسألة إلى قولين، والصحيح الذي عليه التحقيق أن الحوض خاص بمحمد ﷺ؛ ولذلك تجد أن العلماء يقولون: صاحب الحوض والشفاعة، فيذكرونها له على سبيل الخصوصية.

---

(١) متفق عليه، البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) متفق عليه، البخاري (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٩٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (٤٠٠).

وأما ما أخرجه الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**»(١)، فهو حديث مرسل لا تقوم بمثله حجة، والله أعلم.

وقد أنكر الحوض بعض المبتدعة: كالخوارج، والرافضة، ومن إليهم، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ ، وَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ الْحَوْضَ ، فَلَمَّا رَأَوْنِي طَلَعْتُ عَلَيْهِمْ ، قَالُوا: قَدْ جَاءَكُمْ أَنَسٌ فَقَالُوا: يَا أَنَسُ مَا تَقُولُ فِي الْحَوْضِ؟ فَقُلْتُ: «وَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ أَنِّي أَعِيشُ حَتَّى أَرَى أَمْثَالَكُمْ تَشُكُّونَ فِي الْحَوْضِ ، لَقَدْ تَرَكْتُ عَجَائِزَ بِالْمَدِينَةِ ، مَا تُصَلِّي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ صَلَاةً إِلَّا سَأَلَتْ رَبَّهَا عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُورِدَهَا حَوْضَ مُحَمَّدٍ ﷺ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَتَعَجَّبُ مِمَّنْ يَشُكُّ فِي الْحَوْضِ إِذْ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّ الْحَوْضَ مِمَّا يُؤْمِنُ بِهِ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ حَتَّى إِنَّ الْعَجَائِزَ يَسْأَلْنَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَسْقِيَهُنَّ مِنْ حَوْضِهِ ﷺ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْحَوْضِ، وَيُكَذِّبُ بِهِ، وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّصْدِيقِ بِالْحَوْضِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ كِفَايَةٌ عَنِ الْإِكْثَارِ(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ**»(٣)، والمراد بهم: أهل التوحيد، والمتابعة للنبي ﷺ.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الحوض موجود الآن، قال النبي ﷺ: «**وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ**»(٤)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**»(٥).

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ أَيْ: شكرًا لله جَلَّ جَلَالُهُ على هذه العطية، وهذه المنحة الرفيعة.

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ والصلاة هي المعروفة بشروطها وأركانها، وقيل صلاة العيد، وقال: ﴿لِرَبِّكَ ﴾ ولم يقل: لله؛ ليبين أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أحاط به ورعاه، وحفظه من كل ما يؤذيه،

---

(١) برقم (٢٤٤٣).
(٢) «الشريعة للآجري» (٨٣٨).
(٣) أخرجه مسلم (٢٤٧).
(٤) متفق عليه، البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦)، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٥) متفق عليه، البخاري (١١٩٦)، ومسلم (١٣٩١).

فالرب هو الحافظ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو المستحق للعبادة.

﴿وَٱنْحَرْ﴾ أَيْ: تقرب إليه بأنواع النحر: كالهدي، والأضحية، والعقيقة، والوفاء بالنذور وغير ذلك، ويكون من بهيمة الأنعام، فلا يتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالنحر إلا بما كان من بهيمة الأنعام: البقر، والغنم، والإبل، وما سوى ذلك لا يصح لا في عقيقة، ولا هدي، ولا أضحية، حتى لو كان غزالًا أو أيلًا، أو غير ذلك مما أباح الله وأحل، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج:٣٧].

ومن أعظم العبادات النحر؛ ولذلك قال النَّبِيُّ ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»(١)، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، فالذين ينحرون على عتبات القبور متقربين إلى أرباب تلك القبور مخالفين لهذه الآية؛ لأنهم ذبحوا ونحروا لغير الله، وكذلك السحرة الذين يذبحون ولا يسمون الله على ذبائحهم متقربين بها إلى الجن والشياطين، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة يُخلد صاحبه في نار جهنم إن مات عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢]. ويدخل في ذلك الهجر، الذبيحة المشهورة في البلاد اليمنية التي يذبحونها للإصلاح بين الناس؛ ويسمونها بالهجر أو القصد فإن هذا دائر بين البدعة والشرك، فينبغي للناس أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ، في اجتناب ما يسخط الله جَلَّجَلَالُهُ عليهم، وقيل النحر هو ضم اليدين إلى الصدر، والأول أولى.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أَيْ: إن مبغضك يا محمد ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، المقطوع، وقد جاء في سبب نزول هذه الآية حديث لا يثبت، أنهم قالوا فيه: محمد الأبتر، أَيْ: المقطوع، لا وارث له، ولا معين، فأخبر الله عَزَّوَجَلَّ أن الأبتر هو شانئ النبي ﷺ(٢).

وفي هذه السورة وعد ووعيد، فالمتمسك بالسنة غير مقطوع وإن قل ناصروه وكثر معادوه، والمخالف لسنة النبي ﷺ هو المقطوع كائنًا من كان، وإن كثر ماله وتابعوه، وعظم شأنه، فانظروا! من الذي عادى النبي ﷺ في أول البعثة؟ إنهم سادات قريش، وسادات العرب، ومحمد ﷺ كان يسمى عندهم: بالمذمم، وباليتيم، وغير ذلك من التسميات التي يتنقصونه بها، فقُطعوا جميعًا بالقتل، والهلكة، والعذاب المهين في الدنيا والآخرة، وسلم

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٠٤).

محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم حتى أتم الله لهم الدين، وأقام لهم الملة.

وهكذا في كل وقت وحين تجد أن متابعوا النبي ﷺ هم الواصلون إلى المراد، ومخالفوا النبي ﷺ هم المقطوعون المبتورون، فإياك واحتقار أهل الصلاح مهما كان الحال، وإنما الاحتقار يكون للمبتعد عن طريق الصلاح، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(١)، فكم من إنسان قبيح المنظر جميل المخبر، وكم من إنسان جميل المنظر قبيح المخبر، ولو كانت النظرة إلى الجمال لربما كان كثير من الكفار هم أصحاب العلو والرفعة، لكن النظرة إلى الإيمان.

وتأمل إلى ما وقع به ذلك المخذول عبد الله القصيمي، لما وقع في الردة قال: أيدخل الله عَزَّوَجَلَّ جميلات لبنان النار ويدخل عجائز نجد الجنة؟!!

لأنه نظر إلى الظاهر وترك ما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به من شرط صلاح الظاهر والباطن.

والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).